مبادئ التأدب في شعر أحمد مطر – دراسة تداولية

الباحث عبدالغفار فتاح حسن
كلية اللغات–جامعة صلاح الدين
havalfattah@gmail.com

أ.د. دلخوش جارالله دزه يي
كلية اللغات–جامعة صلاح الدين

(مُلَخَّصُ البَحث)

إنّ هذا البحث عبارة عن دراسة تقف على قاعدة من قواعد التخاطب أو المحادثة، التي تمثل الدرجة الأولى من الدرجات الثلاث للتداولية، ألا وهي مبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه، مثل مبدأ الوجه أو التواجه، ومبدأ التأدب الأقصى، وإسقاطها على نماذج منتقاة من شعر الشاعر العراقي أحمد مطر، وذلك على وفق منهج وصفي تحليلي يستند إلى معطيات الدرس التداولي، لمعرفة المقاصد الحقيقية للشاعر من وراء استعمالاته اللغوية في خطابه الشعري، القريب من اللغة العادية والحوارات اليومية، والهادف إلى إيقاع أكبر قدر ممكن من التأثير في نفس المتلقي، وإدامة عملية التواصل والتفاعل مع نصوصه وإقناعه بأفكاره ورؤاه السياسية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، مبدأ التأدب، التأدب الأقصى، التواجه، التواصل، شعر مطر.

المقدمة

تعدّ المحادثة شكلاً من أشكال الخطاب، بل أبرزها وأدلها على طبيعة الاتصال، التي تتسم بالتفاعل وتعدد الأطراف. ولها أبعاد وقواعد، تسمّى الأبعاد التخاطبية، أو قواعد التخاطب أو المحادثة، وتعني جملة من المعايير والقواعد، التي يفترض أن يقف عندها كل متكلم في أثناء حديثه مع غيره، وتلعب دوراً مهماً في تأويل الملفوظات. وهذه القواعد من المباحث ذات الأهمية الكبيرة في اللسانيات التداولية؛ لأنّ آلياتها تكشف بدلالاتها التعبيرية عن الاستعمال وأبعاد التواصل الاجتماعي والفكري بين أطراف الخطاب. والغرض منها معرفة مقصدية المتكلم، ومدى إدراك المتلقي لكلامه، وهذه القواعد تضبط التواصل فيما بينهم. وترتبط قدرة الفرد المتكلم التواصلية بمدى الالتزام بهذه المعايير والقواعد، التي يدرجها الباحثون التداوليون ضمن الكفاءة التداولية. ويعمد المتخاطبون إلى احترام هذه المجموعة من المبادئ الحوارية المنظِّمة للتواصل المثالي؛ بغية إنجاز العملية التواصلية. وينطبق هذا الأمر على الخطاب الأدبي التخييلي، ومنه الخطاب الشعري، وإنْ كان أكثر

تعقيداً من الخطاب العادي؛ إذ إنّ الخطاب الشعري يحتاج إلى شروط تضمن نجاحه، وقواعد خطابية تؤطره. ونظراً لما لهذه المقومات التخاطبية من قيمة، في توجيه عملية التفاعل والتواصل، واحتفاء الخطاب الأدبي، ومنه الخطاب الشعري بهذه المقومات، سيقدح هذا البحث بأحد هذه الأبعاد التخاطبية، المتمثلة في مبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه، وبيان مدى التزام الشاعر العراقي أحمد مطر بها، أو خرقها، لتحقيق غاياته ومقاصده، وإيصال أفكاره إلى متلقيه، من خلال استعمالاته اللغوية، المستندة إلى مبدأ التواصل والتفاعل والتأثير والإقناع واستمالة القلوب.

أولاً: مبدأ التأدب

إنّ محاولة الفيلسوف "بول غرايسH.P.Grice"* في وضع نحو قائم على أسس تداولية للخطاب، وأخذه بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسِّسة لعملية التخاطب، بالاستناد إلى مبدأالتعاون(GRICE, 1975, 23-31)، فَتَحَت باباً واسعاً في تطوير التداوليات اللغوية، غير أنّ اهتمامه بالجانب التبليغي في عملية التخاطب، جعل بعض النقاد يسعون إلى تطوير قواعده الحوارية. فوضعوا عليها قواعد أخرى، انطلاقاً من مبادئ جديدة، رأوا فيها إضافات ضرورية؛ لإتمام عملية التخاطب. وكان "من بين الميزات الأكثر ملاحظة في التطورات الحديثة للتداوليات اللسانية، النزوع إلى دراسة التأدب في التفاعلات اللغوية"(حمراوي، ٢٠١٥، ١٣٥)؛ بوصفه معياراً تواصلياً ذا بعدٍ أخلاقي، يؤطّر التعاون ويضمن سيرورته. وهكذا، ظهر مبدأ التأدب، الذي بموجبه يتجنب المرسِل ما يمكن أن يجلب التطيّر أو الجفاء إلى نفسه، كما يقتضي وضع اعتبار لمقام الغير قبل مقام الذات. وتأسيساً على ذلك، اتخذت الدراسات من هذه الظاهرة، فضلاً عن مبدأ التعاون عند "غرايس"، نقطة انطلاق لها(هنوش، ٢٠٠١، ٦٦ . بوجادي، ٢٠١١، ٧٢٩). وقد تمكنت اللغوية الامريكية "روبين لاكوفR.Lakoff" من إلقاء الضوء على الجانب التهذيبي، من خلال وقوفها بالتفصيل على مبدأ التأدب، الذي يعدّ من المبادئ التي تضبط التخاطب بين المتكلم والمخاطَب؛ إذ يراعي المتكلم–وفقاً لهذا المبدأ– نوع العلاقة بينه وبين المخاطَب في خطابه، فيرجّح دور هذه العلاقة في اختيار إستراتيجية دون إستراتيجية أخرى(الشهري، ٢٠٠٤، ٩١). وبهذا تتفاضل الخطابات، وتختلف

*بول غرايس(١٩١٣-١٩٨٨)، فيلسوف أمريكي من أهم فلاسفة اللغة، ممّن كان لهم أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى، انطلاقاً من فهم آليات المحادثة، صاغ نظريته "الدلالة القصدية" من محاضراته الشهيرة "محاضرات وليام جيمس" التي ألقاها عام ١٩٦٨، ونُشرت لاحقاً عام ١٩٧٥ في بحث بعنوان "المنطق والمحادثة. ويعدّ أيضاً من أهم فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية. ويقوم عمله، عن المبدأ التعاوني والمبادئ الأساسية للمحادثة المرتبطة به، على أعراف فلسفة اللغة العادية (ريبول وموشلر، ٢٠٠٣، ٢٤٥ . توماس، ٢٠١٠، ٧٤).

فيما بينها، ويعطي هذا الاتجاه في الخطاب الأولوية لقواعد التأدب، ويفترض في المتكلم أن يراعي العلاقة الودية بينه وبين المخاطَب، أو يؤسسها، إذا لم تكن موجودة(تغزاوي، ٢٠١٤، ١٩٩)؛ لأنّ هذا المبدأ يقضي أصلاً بـ "أن يلتزم المتكلم والمخاطَب، في تعاونهما على تحقيق الغاية، التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب، ما لا يقل عمّا يلتزمان به من ضوابط التبليغ"(عبدالرحمن، ١٩٩٨، ٢٤٠).

وعلى الرغم من أنّ مبدأ التأدب الذي اقترحته "لاكوف" يفضل مبدأ التعاون، على اعتبار أنّه يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي(أدراوي، ٢٠١١، ١١٩)، فإنّ "ليتشLeech"(1983, 10) يرى أنّ "مبدأ التعاون ومبدأ التأدب يجريان على نحو متغاير في الثقافات المختلفة، أو الجماعات اللغوية، في المواقف المجتمعية المتباينة، بين الطبقات الاجتماعية المتعددة". وقد مرّ هذا المبدأ لدى التداوليين المحدثين بمنعطفات، غير أنّ أول طرح له هو ما قدمته "لاكوف"، في مقالها الذي يحمل عنوان "منطق التأدب" سنة ١٩٧٣، وصيغته هي "لتكن مؤدباً"(العزاوي، ٢٠١٦، ٦١-٦٢)؛ معتبرة أنّه ربما كان التأدب في التخاطب أهم من وضوح الرسالة(بوهدّة والجامعي، ٢٠١٩، ١٣). فتوسعت في دراسة مظاهر التأدب، وسعت إلى تبديد الاختلاف الذي يطفو على السطح خلال التفاعلات الشخصية(ختام، ٢٠١٦، ص ١٠٦)، وتقول: "إن المتخاطبين في تبادلاتهم الكلامية يحرصون غالباً، حرصاً شديداً، على الالتزام بقدر كبير من الأدب، والبعد عن العدوانية، أكثر مما يتوخون الوضوح"(LAKOFF, 1973, 297). وينبني مبدأ التأدب عند "لاكوف" على قاعدتين، هما: كن واضحاً، وكن مهذباً. وطورت طرحها عن التأدب، لتخرج بقواعد جديدة -تخص القاعدة الثانية (كن مهذباً)- لتهذيب الخطاب، وهي ثلاث قواعد كبرى(الشهري، ٢٠٠٤،١٠٠):

١- قاعدة التعفف: لا تفرض نفسك على المرسَل إليه، ولا تتطفل على شؤون الآخرين.

٢- قاعدة التخيير: لتجعل المخاطَب يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة.

٣- قاعدة التودد: لتظهر الود للمرسَل إليه؛ أي كن صديقاً.

ولعلّ مبدأ التأدب مبدأ عملي سلوكي يوجه القول الشعري؛ إذ إنّ الشاعر مطالب باحترام هذا المبدأ، وذلك باختيار الألفاظ والعبارات المناسبة لمقامات المخاطبين. كما ينبغي على الشاعر أن يجتنب كل ما يخالف المقتضيات التداولية للمقام، فيعنى عناية خاصة بافتتاح شعره، فلا يضمه معنىً أو عبارة لا تلقى القبول

عند السامع؛ لأنّ النجاح التداولي للقول الشعري يقتضي مراعاة هذا المبدأ(هنوش، ٢٠٠١، ٦٤-٦٦). وتأسيساً على ذلك، نرى أنّ الشاعر أحمد مطر التزم في مواضع كثيرة من شعره بقواعد التأدب، ولكنّه في الوقت نفسه خرق قاعدة، أو اثنتين، أو مبدأ التأدب برمته، وذلك حسب ما تطلبه المقام.

فبخصوص القاعدة الأولى (قاعدة التعفف أو التسامح)، نرى أنّ الشاعر قد التزم بها في مواضع عدة من أشعاره، ليحفظ المسافة بينه وبين مخاطَبه، نذكر منها -على سبيل المثال- ما جاء في قصيدة "بين يدَي القدس"(مطر، ٢٠٠١، ٤٣-٤٤):

يا قدسُ يا سيدتي .. معذرةً
فليسَ لي يدانْ
وليسَ لي أسلحةٌ
وليسَ لي ميدانْ
كلُّ الذي أملكُهُ لِسانْ

فالشاعر في هذا المقطع يحمل قضية القدس في وجدانه، وهو في الغربة لا يملك حولاً ولا قوة، سوى اللسان، وبذلك يعتذر لها؛ لعدم قدرته على الدفاع عنها بالسلاح. فخلال هذه المحاورة يسعى الشاعر باستعمالاته اللغوية التأثير في مخاطَبه، متجنباً العبارات التي تحطم الحواجز بينهما، وقد جسد الالتزام بقاعدة التعفف في هذه الصورة الشعرية مدى احترام الشاعر لمن وجّه له الخطاب، وهو القدس.

وفي قصيدة "طلب انتماء للعصر الحجري"، راعى مطر قاعدة التعفف، وذلك بعدوله عن الأمر المباشر إلى النهي، الذي هو صورة من صور الأمر، لكنه أخف حدة وأقل مباشرة، بقوله (مطر، ٢٠٠١، ٢٠٨):

أهلَ الضفّةِ
أنتم روحُ الله
.....
لا تنتظروا منّا أحداً
لا تثقوا في أحدٍ منّا أحداً

فقد جنح الشاعر إلى قاعدة التعفف، التي تستوجب استعمال عبارات تحفظ المسافة بين المتخاطبين عند مخاطبته أهل الضفة، فلم يستعمل العبارات المباشرة؛ لما قد تحدثه هذه العبارات من ندوب لدى المخاطَبين(أهل الضفة). حتى إنّ

الشاعر استغنى عن أداة النداء، ليخاطبهم كأنهم يراهم على بعد خطوة؛ فيقرّب المسافة نفسياً أكثر، وهذا ما يمثل صلب العملية التواصلية.

وفي اتجاه معاكس، نلحظ أنّ الشاعر يخرق أحياناً كثيرة، مبدأ التأدب من خلال التطفل على شؤون المخاطَب الخاصة، مثلما فعل في قصيدة "لانامت عين الجبناء"، حين يقول(مطر، ٢٠٠١، ٣٤):

لا نامتْ عينُ الجبناءِ!
ورأيتُ مئاتِ الشعراءِ
تحتَ حذائي

ففي هذا المثال نرى أنّ الشاعر قد خرق مبدأ التأدب، بلجوئه إلى أساليب تحط من مكانة المئات من الشعراء، حين يضعهم(تحت الحذاء)، على اعتبار أنّه "يعمد إلى صيغة للحديث تستبطن مقداراً من الإكراه والغضب، ومن ثم، فإنّه لا ييسّر عملية التواصل، وإنّما يوجهها صوب المواجهة والتحدي"(ختام، ٢٠١٦، ١٠٨).

وقد يخرق المتكلم قاعدة التعفف من خلال استعمال صيغة الأمر المباشر وفرض نفسه ورأيه، كما فعل مطر في قصيدة "إحفروا القبر عميقاً"، بقوله(مطر، ٢٠٠١، ٢٥٣):

إنهشوا الحاكمَ نهشاً
واصنعوا من صولجان الحُكْمِ رَفْشاً

فقد خرق الشاعر قاعدة التعفف، لأنّه فرض –على نحو من الأنحاء– على مخاطبيه، رأيه من خلال صيغة الأمر المباشر، وهذا نفسه يحيل على خرق لقاعدة التخيير؛ لأنّه لا يترك فسحة من الإرادة الحرة، وفي الجمع بين خرق قاعدتي التسامح والتخيير يؤول الأمر إلى أنّ المتكلم لم يراعِ في الحقيقة، قاعدة التودد.

أما بخصوص قاعدة التخيير، التي تنص على ضرورة إتاحة مجال رحب من الخيارات، بدل حصر المخاطَب في لائحة محدودة من الإمكانيات، فنجد الشاعر قد طبّق هذه القاعدة في بعض شعره"؛ إذ نراه في مواضع منها يستعمل دقة العبارة لإقناع مخاطبه، بدلاً عن فرض نفسه عليه، ومن الشواهد الدالة على هذا الضرب، قوله في قصيدة "صاحب الضخامة محقان المفدّى"(مطر، ٢٠٠١، ٢٥٤):

إعلامُنا: إعدامُنا
يركلُنا
يشتمُنا

يبصق في وجوهِنا
وما بأيدينا سوى أن نشكرَ الإحسان.
أليس شيئاً رائعاً
أن يُصفع المرءُ على قفاهُ بالألوانْ؟!

ففي هذا النص، الذي غلبت عليه السخرية من الإعلام العربي، ترك الشاعر لمخاطَبه حرية اتخاذ القرار، عندما أخذ بأسلوب الاستفهام(أليس شيئاً رائعاً أن يُصفع المرءُ على قفاهُ بالألوانْ؟)، وهو لم يقيّد المخاطَب، ولم يلزمه بأمر دون آخر، معترفاً بمكانته؛ إذ إنّ ما يميّز مثل هذه التعابير هو أنّها خالية من أي إكراه، وتذكّر المخاطَب بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ولمراعاة قاعدة التخيير وفتْحِ مجال الاختيار أمام مخاطَبه، حاول مطر في أكثر من موضع في أشعاره، تجنّب استعمال أساليب الأمر الخالصة، بل مالَ إلى اعتماد أساليب الالتماس، التي عبر عنها بصورة غير مباشرة. ويعدّ الاستفهام أبرز هذه الأساليب، وله علاقة بمظاهر التأدب في الخطاب، ففيه يحقق المتكلم الالتماس بوساطة السؤال(ريبول وموشلر، ٢٠٠٣، ٥٨-٥٩ . العبد، ٢٠٠٥، ١٤٤). ونلحظ مثل هذا السؤال الذي يقصد من ورائه الشاعر الالتماس -على سبيل المثال- في قصيدة "مؤامرة"، حين يقول(مطر، ٢٠١٣، ٣١٩):

وفي كلّ دور كلانا مَدارْ
وفي كلّ دور نقاسي الدُّوارْ
لماذا، إذن، بيننا لا يدورُ الحوارْ؟

فهذا السؤال ترك للمخاطَب حرية اتخاذ القرار بين إجراء الحوار وعدم إجرائه، حين عمد إلى تجنّب استعمال أسلوب الأمر والإلزام الخالص، وأخرج الكلام مخرج العرض، لاجئاً إلى الالتماس.

وفيما يتعلق بقاعدة التودد، التي تضع المتكلم في دائرة البعد عمّا ينفر المخاطَب منه، من خلال الاستعانة بعبارات وجمل تفصح عن التقدير والاحترام والصداقة(ختام، ٢٠١٦، ١٠٨)، نجد الشاعر قد عمد في بعض خطاباته إلى الاتكاء على هذا الأسلوب لطمأنة مخاطَبيه، ويمكن أن نمثّل لذلك بما جاء في قصيدة "الوصايا"، بقوله(مطر، ٢٠٠١، ١٤٦):

يا صديقي
إنّ إثبات العصا في (الظَهرِ)
إجراءٌ ضروريٌ

لإثبات الإدانةْ!

ففي هذا المقطع يخاطب الشاعر صديقه، مستعملاً لفظة(صديقي)، بدل مناداته باسمه. وهذا الأسلوب من شأنه أن يبعث الاطمئنان في نفس مخاطَبه هذا، كما يدلّ هذا النوع من الخطاب على قرب المسافة بين طرفي الحوار؛ لأنّهما مشاركان في تجرع هذه الأوضاع وملاقاتها. كما نلحظ مثل هذا الالتزام بمبدأ التأدب في قصيدة "أعذار واهية"، حين يقول (مطر، ٢٠٠١، ٤١٨):

أيُّها الكاتبُ ذو الكفّ النظيفةْ

لا تسوّدها بتبييضِ مجلاتِ الخليفةْ

إذ يقيم الشاعر علاقة تواصلية بينه وبين المخاطَب(الكاتب ذو الكف النظيفة)، في سياق من التأدب القائم على إبداء النصح، دون سعي إلى فرض الرأي، وفي أفق من التودد، يجعل هؤلاء الكتّاب ينأون بأنفسهم عن الإذعان لما يريده (الخليفة)؛ فالـ"أنا"(الشاعر) يخاطب الـ"أنت"(الكاتب)، في سياق تخييلي من غير علو، بل يستند إلى علاقة أفقية بمنزلة متساوية –منزلة الشاعر والكاتب– تمثل قرب المسافة بينهما.

وقد يلجأ المتكلم إلى أسلوب التخيير، التزاماً بقاعدة التشكك، وذلك باستخدام الاستفهام، مقصوداً به الطلب؛ وذلك مراعاة لمبدأ التأدب، إذ "يستعمل أسلوب الاستفهام لتحقيق مبدأ التأدب، حين يكون الكلام موجّهاً إلى شخص له سلطة، أو مكانة"(عيدة، ٢٠١٢، ١٠٥)، ومن ذلك ما جاء في قصيدة "اللعبة"، التي هي عبارة عن حوار بين حفيد وجدّه(مطر، ٢٠٠١، ٢٩–٣٠):

أقول لجدّي:

لماذا تموت البيادق؟

يقولُ: لينجو الملك.

أقولُ: لماذا إذن لا يموتُ الملك

لحقن الدم المنسفكْ؟!

إنّ القرائن التلفظية الواردة في هذا الحوار ليست على وتيرة واحدة، فهي علاقة قرابة بين الحفيد والجدّ في سياق تخييلي، مما يمكن تفسيره بمبدأ التأدب. فالشاعر في هذا النص لجأ إلى التعبير بالاستفهام؛ لتحقيق أغراض إنجازية بسلوك كلامي أكثر تأدباً، أو لغرض تلطيف الكلام، وهذا يتضح في قول المتكلم(الشاعر) حين يسأل جدّه:" لماذا تموت البيادق"، وردّ جدّه:" لينجو الملك"، وهو ردّ يندرج ضمن مبدأ التأدب بقواعده الثلاثة(التعفف، والتخيير، والتودد)؛ إذ لا شيء يدل في السؤال

ولا في الردّ، على خرق لأيّ مواضعة اجتماعية، أو حتى مبدأ التعاون؛ لأنّ الاستفهام المباشر عن معنى شيء لغاية طلب معلومة يجهلها المتكلم، يندرج في إطار سعي المتكلم لتحقيق التواصل لغاية تداولية.

ويدخل التأدب في باب التلطف في الكلام، الذي له دوافع نفسية، كأن يعمد المتكلم إلى العبارات الرقيقة والتلميحات اللطيفة، أو استعمال الكنايات، استناداً إلى عامل "اللامِساس"*؛ وتجنباً للضرر والأذى، ويحاول "تفادي الظواهر التخاطبية الأكثر كشفاً للمقاصد، أو القابلة لأن تصدم الآخرين، انطلاقاً من مضمونها الخاص أو من صياغتها"(الحاج، ٢٠٠٧، ٢٢٧). وقد نحا الشاعر أحمد مطر هذا المنحى في بعض قصائده، مثلما فعل في قصيدة "بين نارين"، في وصف نوع من ثياب النساء، إذ يقول(مطر، ٢٠٠١، ٢٧٥):

نسوانٌ بثياب (طوارقْ)

ورجالٌ بالميني جوبْ!

فلفظة طوارق هنا كناية عن الآتي ليلاً أو الحادث ليلاً، ربّما لجأ إليها الشاعر تحرّجاً من استعمالها بدلالتها الصريحة، فلجأ إلى أسلوب التلطف، الذي يشمل في جانب منه التأدب في الكلام، فـ"استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزىً سيء أو مخيف بكلمات اللامساس يعد ضرباً من ضروب حسن التعبير، وحسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه"(أولمان، ١٩٧٥، ١٧٧). وهذا الأسلوب يمكن عدّه إستراتيجية تلميحية غير مباشرة، وعلى المتلقي الاستدلال وفك الشفرات، للوصول أخيراً إلى مقصدية الشاعر، كما أنّ هذا التهذيب يضمن الحفاظ على أواصر التواصل والتفاعل بين الشاعر والمتلقي.

وعلى العكس من ذلك، قد يخرج الشاعر –أحياناً– عن مبدأ التأدب، باللجوء إلى ألفاظ بذيئة، لغاية قد يتطلبها المقام، ولأغراض تداولية، على الرغم من حسن التعبير. وتعج أشعار مطر بمثل هذا الأسلوب، فنراه لاينأى بنفسه عن استعمال مثل هذه الألفاظ في مقامات يصف فيها الأعداء أو الحكام الجائرين، ويفضح أساليبهم وتواطئهم مع الأعداء، و"الأمر الذي لا يمكن الشك فيه، هو أنّ ألفاظ البذاءة والإقذاع قد ارتبطت عند الشاعر بذكر الحاكم في جميع مواطنها دون استثناء، وفي ذلك تفسير واضح لأسباب وجودها وشيوعها في قصائد الشاعر، فطبيعة التجربة المرّة التي يواجهها، أخرجته من حدود الالتزام بالرفق والرقة

*هو مصطلح يُطلق على كل ما هو مقدس أو ملعون، ويحرم لمسه، أو الاقتراب منه، لأسباب خفية، سواء أكان ذلك إنساناً أم كلمة أم شيئاً آخر، فإذا ما اصطدمت كلمة ما بحظر الاستعمال تحت تأثير عامل اللامساس، حلت محلها كلمة أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى(أولمان، ١٩٧٥، ١٧٤).

والتهـذيب"(غنيم، ١٩٩٨، ١٦٠)، مثلمـا نـرى ذلـك فـي قصـيدة "مبـارزة"(مطر، ٢٠٠١، ٢٥١):

فالكُلُّ قوّادٌ
تلقّى الدَّرسَ في مبغى العِدى
ثمّ دعَوهُ "قائدا"
وهيّأوا مقعدَهُ
ليمتطينا أبدا

فعلـى الـرغم مـن أنّ هـذا التأويـل يجـد تبريـراً أسـلوبياً لقـول الشـاعر، حـين يصـف الحكـام المتـواطئين مـع الأعـداء بهـذا الوصـف(قوّاد)، إلاّ أنّ هـذا التبريـر لا يعفيـه مـن الخطـأ التـداولي الماثـل فـي خـرق مبـدأ التـأدب، لأنّ "مبـدأ التـأدب لا يجـوز خرقـه لا قصداً ولا جهلاً، فهو واجب الاتباع في كل الأحوال"(هنوش، ٢٠٠١، ٦٧).

هـذا، وقـد انتُقِـد مبـدأ التـأدب بانتقـادات عـدّة، ورأى عـدد مـن الدارسـين أنّ هـذا المبـدأ غيـر كـافٍ، لأنّـه لـم يسـتجمع جميـع الشـروط المطلوبـة فـي العمليـة التخاطبيـة، فظهر بذلك مبدأ آخر سُمّي بمبدأ التواجه.

ثانياً: مبدأ التواجه واعتبار العمل

إنّ النقـد الموجـه لمبـدأ التـأدب، جعـل بعـض الدارسـين يسـعون إلـى استعاضـته بمبـادئ أخـرى، ومنهـا مبـدأ التواجـه أو الوجـه. وقـد ورد هـذا المبـدأ عنـد العـالمَين "بنلـوب بـراون Penelope Brown" و"سـتيفن ليفنسـونStephen Levinson"، فـي دراسـة مشـتركة بعنـوان "الكليـات فـي الاسـتعمال اللغـوي: ظـاهرة التـأدب" سـنة ١٩٧٨. ويحصـي هـذان العالمـان خمـس إسـتراتيجيات عامـة فـي التخاطـب، منهـا إسـتراتيجية التلمـيح، ويسـميانها(off-record)، التـي يمكـن أن ينـتج عنهـا أكثـر مـن قصـد، لا لـبس فيهـا ولا غمـوض، ولـذلك فإنّـه لا يمكـن أن يكـون المرسـل ملزَمـاً بأحـد هذه المقاصـد(BROWN & LEVINSON, 1987, 72-74). وقـد أرادا أن يصـوغا بعـض القواعـد الكليـة لضـبط ظـاهرة التـأدب بـين طرفـي الخطـاب، منطلقَـين مـن فرضـية أنّ كـل فـرد يحـرص قبـل كـل شـيء، فـي إطـار التفاعـل الاجتمـاعي، علـى الحفـاظ علـى مـاء الوجـه(أوريكيوني، ٢٠٠٨، ٤٠٨). وينبنـي مبـدأ الوجـه علـى مفهـومَين أساسـيَّين: الوجـه والتهديـد، أمّـا الوجـه فهـو الـذات التـي يـدّعيها المـرء لنفسـه، والتـي يريـد أن تتحـدد بهـا قيمتـه الاجتماعيـة، ولـه مظهران(عبـدالرحمن، ١٩٩٨، ٢٤٣. الشهري، ٢٠٠٤، ١٠٣):

– الوجه الجالب(الإيجابي): حفظ ماء وجهه بحفظ وجه ماء المخاطَب، عن طريق استعمال الأساليب غير المباشرة في التخاطب، ويكون فيه تلطف وتودد. فهو يُحدِث الأُنس والأُلفة، ممّا يسهم في إنجاح التواصل الإنساني.

– الوجه الدافع(السلبي): وهو رغبة الإنسان في ألايعترض الآخرون على أفعاله. وهو مفهوم سلبي يستخدم فيه المتكلم التهكم والسخرية والتهديد والتحذير والوعيد وأسلوب الأمر المباشر؛ إذ لا يعدّ كل ذلك من قبيل التلطف.

ويمكن أن نمثل للوجه الجالب، في قصيدة "شاهد إثبات" (مطر، ٢٠٠١، ٣٠٩):

لا تَطلُبي حريَّةً أيّتُها الرعيّةْ
لا تَطلُبي حريَّةْ..
بَلْ مارِسي الحريَّةْ.

فالشاعر في هذا المقطع يوجّه رسالة إلى أبناء شعبه، ومن خلال أسلوبه غير المباشر في التخاطب، ينصحهم بممارسة الحرية، وليس طلبها فقط؛ فحَفَظ بهذا الأسلوب ماء وجه مخاطَبه(ابن الشعب)، وذلك بإيراد صيغة النهي في شكل نصيحة. وهذه النصيحة لا تحط من كرامة هذا الشعب، بل هي حافز له. وهذا ما يسهم في إنجاح عملية التواصل بين الشاعر(الناصح) ومخاطَبيه(المنصوحين).

أمّا بخصوص الوجه الدافع، فمن أمثلة هذا الضرب ما نلحظه في قصيدة" عزاء على بطاقة تهنئة"، إذ لجأ فيها الشاعر إلى صورة التهكم، باستخدام أساليب التلطف، بشكل غير مباشر(مطر، ٢٠٠١، ٥٦):

ولاةُ الأمرِ: ما خنتُم ولا هنتُم
ولا أبديتُمُ اللينا
جزاكم ربُّنا خيراً
كفيتم أرضنا بلوى أعادينا
وحقّقتُم أمانينا

فعبارة(جزاكم الله خيراً)، دالة على الدعاء لمن قام بعمل الخير، غير أنّ الشاعر أتى بها على سبيل التهكم من ولاة الأمر، الذين أبدوا اللين مع الأعداء وخضعوا لهم؛ فالأسلوب في النص جاء على جهة التقليل من شأن هؤلاء الولاة بلفظ الدعاء تهكماً.

وفيما يخص مفهوم التهديد، فإنّ هذين العالمين "براون" و"ليفنسون"، يريان أنّ من الأقوال التي تنزل في التداوليات مَنزِلة أعمال، ما يهدد الوجه تهديداً ذاتياً، وهي أقوال تعوق إرادات المخاطَب، أو المتكلم، في دفع الاعتراض أو الوجه الدافع،

وجلب الاعتراف أو الوجه الجالب. والأقوال التي تهدد الوجه الدافع للمخاطَب، قد تكون أقوالاً تحمله على أداء شيء نحو: الأمر والطلب والنصح والتذكير والإنذار والتحذير والوعيد. أو تكون أقوالاً تحمل المتكلم على القيام بشيء، يلزم المستمعَ قبوله أو ردّه، مثل العرض والوعد. وقد تكون أقوالاً تعبر عن رغبة للمتكلم، تدعو المستمع إلى حفظها، كالتهنئة والإعجاب(عبدالرحمن، ١٩٩٨، ٢٤٣). وفيما يتعلق بالأقوال التي تهدد الوجه الجالب للمخاطَب، فقد تكون أقوالاً تعبر عن التقويم السلبي مثل الذم والسخرية، أو تكون أقوالاً تعبر عن عدم الاكتراث، مثل التعرض لكلام المخاطب قبل أن يُفهِم مراده، أو قطع كلامه قبل أن يتمه. أمّا الأقوال التي تهدد الوجه الدافع للمتكلم فهي الشكر وقبول الشكر. ومن الأقوال التي تهدد وجهه الجالب: الاعتذار والإقرار والندم(السابق، نفسها).

فمن أمثلة مفهوم التهديد عبر الأقوال التي تهدد وجه المستمع الدافع ما جاء في قصيدة "مبادئ الكتابة العربية"(مطر، ٢٠٠١، ٢٣٦):

إيّاك أن تنتقدَ الرَّوثَ
فقد تُؤذي شعورَ البقرةْ.

إذ إنّ الشاعر أحدث تهديداً لوجه مخاطبه الدافع، عن طريق إنذاره من انتقاد الرّوث، ولكنّ هذا التهديد يأتي لغاية أخرى أكبر، هي التهكم من السلطة بصيغة ضمنية. كما لجأ الشاعر إلى التهديد وخرج عن مبدأ التأدب، حين وصف المسؤولين الجالسين في مجلس للقيادة بـ "البهائم"، وذلك في قصيدة "مجلس"(مطر، ٢٠٠١، ٤٩٩-٥٠٠):

القاعةُ المعتادةْ
غارقةٌ في الصمتِ،
والبهائمُ المنقادةْ
تَجلسُ في دائرةٍ،
وصاحبُ السيادةْ
يدورُ يَحملُ العصا لمن عَصى
ويُهدرُ الوقتَ بلا إفادةْ.

فقد ابتعد الشاعر عن أسلوب التلطف أو الكياسة، وهدّد وجه مخاطبه الجالب، باعتماده على أسلوب الذم، من خلال تشبيه هؤلاء المسؤولين بالبهائم. ويبدو أنّ الشاعر أراد من خلال هذا الأسلوب إيصال رسالة مقصودة إلى مخاطَبه، بأنّ الاجتماعات التي يقودها مثل هؤلاء الحكام لا تجدي ولا تنفع؛ لأنّ من يجلس فيها،

لا يمكن له أن يبدي حتى رأيه، بل إنّ من يرأس الاجتماع هو صاحب القرار، وهو الآمر الناهي.

ويؤكد "براون" و"ليفنسون"(1987, 91) أنّ الوجه يتعرض للتهديد، وهو تهديد مرتبط بالمسافة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطَب، ومرتبط أيضاً بالمنزلة التي يحتلها المخاطَب، وأخيراً بما تفرضه الثقافات، أمّا التأدب فيتدخل في التواصل؛ باعتباره فعل إصلاح وموازنة لما يشوب الوجه من تهديد. وللتخفيف من آثار التهديد حدد هذان العالمان خمس إستراتيجيات أو خطط، تتحقق بواسطة صيغ تعبيرية معلومة، ويختار منها المتكلم ما يراه مناسباً لقوله ذي الصبغة التهديدية، وهذه الإستراتيجيات هي(عبدالرحمن، ١٩٩٨، ٢٤٤):

١-أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدِّد.

٢-أن يصرح بالقول المهدِّد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي.

٣-أن يصرح بالقول المهدِّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع.

٤-أن يصرح بالقول المهدِّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب.

٥-أن يؤدي القول بطريق التعريض، تاركاً للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة.

ويمكن أن نمثّل للإستراتيجية الأولى، في قصيدة" قانون الأسماك"، حين يقول الشاعر (مطر، ٢٠٠١، ٢٨٦):

كيفَ تُبدي نَدَمكْ؟

سَمَكاً كُنتمْ

وَمَنْ لم تلتَهمهُ التَهَمَكْ؟

فالشاعر تجنب أن يصرح بالتهديد مباشرة، وإنّما جاء تهديده بشكل غير مباشر، عبر الاستفهام بـ(كيف)، ومن خلال تشبيهه إبداء الندم من قبل المخبرين الذي يكتبون التقارير، بأنّ مَثلهم مَثل الأسماك الصغيرة، التي لابدّ أن تلتهمها الأسماك الكبيرة. فكان هدف الشاعر -على ما يبدو- تنبيههم من عواقب ما يفعلون. ومن الشواهد الدالة على اللجوء إلى الإستراتيجية الثانية، ما نتلمّسه في قصيدة "الفقر الغني"، إذ يقول الشاعر(مطر، ٢٠٠١، ٤٥١-٤٥٢):

أنتَ منّي، وأنا منكَ

ولو أفنيتني..تُفنى بإثري.

إنّما بي أنتَ حيٌّ

عُمركَ الدهرُ ..إذا ما صنتَ عمري!

إذ صرح الشاعر في هذا النص بالقول المهدِّد، من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي. ويربط الشاعر في هذه الصورة التخييلية، حياته ومماته بشعره، مهدِّداً إياه بالفناء من بعده.

وفي قصيدة "هاتِ العدل" نرى أنّ الشاعر يتّبع الإستراتيجية الثالثة والرابعة والخامسة على حدّ سواء، التي قال بها "براون" و"ليفنسون"، للتخفيف من آثار التهديد، إذ يقول (مطر، ٢٠٠١، ٢٩٤):

إنْ لم يَعتَدِلِ الميزانْ.
شَعْرةُ ظُلمٍ تَنسِفُ وَزنَكَ
لو أنَّ صلاتَكَ أطنانْ!
الإيمانُ الظالمُ كُفرٌ
والكُفرُ العادِلُ إيمانْ!
هذا ما كَتَبَ الرحمانْ.

يصف الشاعر هنا في هذا المقطع العواقب التي ستلحق بمن يتظاهرون بالإيمان، وينتهكون في الوقت نفسه أسس العدالة، إذ يتضمن أسلوبه تهديداً صريحاً، غير أنّه يتبعه بتعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع والجالب في الآن نفسه، حين يأتي بالقاعدة الإيمانية التي يذكرها في الأسطر الثلاثة الأخيرة(الإيمان الظالم كفر، والكفر العادل إيمان، هذا ما كتب الرحمان).

وعطفاً على ما سبق، يدرج "براون" و"لفنسون" ضمن مبدئهما التأدبي، عدداً من الأساليب البلاغية، مثل أساليب الإحجام، أو الكف، أو المنع، واستخدام صيغ التوقير والاحترام(حضرة، سعادة، فخامة...)، والاعتذار وطلب القبول(معذرة، أرجو...)، وغيرها(مزيد، ٢٠١٠، ٦٤-٦٥ . الفتلي، ٢٠١٧، ١١٧). وتجدر الإشارة إلى أنّ لهذا المبدأ حضوراً لا بأس به في التجربة المطرية. ويتجلى هذا الحضور في أكثر من موضع في شعره، ولاسيّما في الحوارات التي صوّرها في شعره، ومنها -على سبيل المثال- في بيت من قصيدة "ما أصعب الكلام....إلى ناجي العلي"، إذ يقول(مطر، ٢٠١٣، ٣٩٦):

شكراً لكم، شكراً، وعفواً إن أنا أقلعت عن صوتي وعن إصغائي

كما نلحظ مثل هذا الحضور لمبدأ التأدب في قصيدة "جدل"(مطر، ٢٠٠١، ٤٩٤):

- المعذرةْ.
يا أصدقائي المعذرةْ.
كلّ الذي ترَونَهُ حقٌّ

..فهذي دولٌ مستَعمَرةْ!

فاتبّع الشاعر في هذا النص مبدأ التأدب بلجوئه إلى أسلوب الاعتذار(معذرة)، مقيماً الوزن لأصدقائه في هذا الخطاب المباشر لهم، ومقرباً للمسافة أكثر بينه وبينهم، لتحقيق أقصى درجات التفاعل والتواصل .

ولم يسلم مبدأ التواجه هو الآخر من النقد، واستفاد بعض الدراسات من جوانب قصوره، فبنت على أنقاضه تصوراً جديداً، ولاسيما أنّه كان يجعل من التهديد السمة الجوهرية للأقوال، فظهر مبدأ التأدب الأقصى.

ثالثاً: مبدأ التأدب الأقصى

جاء "جيفري ليتشGeoffrey Leech" فطوّر مبدأ التأدب، ووضع مبدأ التأدب الأقصى، الذي يحافظ على أواصر التفاعل والعلاقات الاجتماعية؛ إذ أورده "ليتش" في كتابه "مبادئ التداوليات"، فيقول(٢٠١٣، ١٣٩): "في المواقف المختلفة، تُستدعى أنواع متنوعة من حسن الآداب، ودرجات كثيرة من حسن الخلق". وهذا المبدأ عنده لا يحل محل مبدأ التعاون ولا يلغيه، بل يكمله، وله صورتان، هما(الفتلي، ٢٠١٧، ١٢٨):

١- أكثِر من الكلام المؤدب.

٢- قلِّل من الكلام غير المؤدب.

وهاتان الصورتان في رأي "ليتش" تجنّب المتحاورين من الوقوع في النزاع، أو ما يمنع التعاون، فجعل لمبدأ التأدب ست قواعد، هي(ليتش، ٢٠١٣، ١٧٤ . الفتلي، ٢٠١٧، ١٢٨-١٢٩ . الرقبي، ٢٠١٨، ٤٣):

١- قاعدة اللباقة: وتقوم على التقليل من التكاليف والخسائر التي يمكن أن يتكبدها الغير.

٢- السخاء: أي التقليل من ربح الذات، وجعل السامع يجني من تلك الفوائد أكثرها.

٣- قاعدة الاستحسان: أي التقليل من ذم الغير والإكثار من مدحه والثناء عليه.

٤- قاعدة التواضع: أي التقليل من مدح وإطراء الذات، والإكثار من نقدها.

٥- قاعدة الاتفاق: وهي التقليص من التعابير الدالة على أنّ الذات في خلاف الآخر، والإكثار من التعابير التي تظهر الذات على اتفاق السامع، أو تكثير الموافقة بين الذات والآخر.

٦- قاعدة التعاطف: وهي التقليص على كل ما من شأنه أن يولد الكراهة والنفور بين المتكلم والسامع، والإكثار من التعابير الدالة على التعاطف بينهما.

وقد صاغ "ليتش" هذه القواعد "بناءً على مقتضى قانون الربح والخسارة، بمفهوم الاقتصاد، انطلاقاً من ربح الغير مقابل خسارة الذات"(الشهري، ٢٠٠٤، ١١٢)، وقاعدة اللباقة عنده هي القاعدة الأساسية، أمّا بقية القواعد الأخرى فتتفرع عنها، والقاسم المشترك بين طرفي التواصل هو التأدب(كادة، ٢٠١٤، ١٨٣).

ويمكن أن نلحظ في شعر مطر مثل هذا الأسلوب الأكثر لباقة باستخدام التمني، في قصيدة "حوار وطني"، حين يقول(مطر، ٢٠٠١، ٣٠٥):

قلتُ لعلّي هذه المرّةَ لا أخدَعُني.
لكنّي وجدتُ أنّني
لم انتخبْني
إنّما انتخبْتُني!

ففي هذا المنلوج الداخلي يخاطب الشاعر نفسَه في أسلوب غاية في اللباقة؛ إذ لا يجبر نفسه على الانخداع لانتخاب نفسه على رأس السلطة، ولكنْ يخيّرها بين الإدلاء بصوته والامتناع، فيترك بذلك الخيار مفتوحاً.

إنّ قاعدة اللباقة، هي الأقدر على حفظ مبدأ التعاون ورفع ما من شأنه أن يوسّع الهوّة بين المتخاطبين، والقوة الإنجازية للإكثار من ربح الغير أقوى من التقليل من خسارة الغير(أجعيط، ٢٠١٢، ١٥٣). وقد اهتم الشاعر أحمد مطر في مواضع كثيرة من قصائده، بهاتين الصورتين، فقد سعى جاهداً لكسب ودّ مخاطَبيه، ومن أمثلة ذلك، ما جاء في قصيدة "أحزان أصيلة"، حين يقول(مطر، ٢٠٠١، ٢٠٦):

لُمّي ثيابَكِ يا أصيلة
واتركي هذا العَنا
هيّا بنا
العِهْرُ هذا لن يجيئَكِ بالغنى.
قودي خطاكِ لبيت شِعرٍ
..واتركي بيت الخَنا!

فالشاعر في هذا المقطع من القصيدة، ينصح امرأة عربية رآها عارية في لندن تمارس العهر، فسعى إلى تغيير مسار حياتها، بأسلوب يقلل من خسارتها، كنتيجة حتمية للإكثار من ربحها، فناداها "يا أصيلة"، ونصحها بترك العهر، واصفاً عواقب هذا الفعل (العِهْرُ هذا لن يجيئَكِ بالغنى)، وبذلك طبّق مبدأ اللباقة بحذافيره. ولعلّ "هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تنبغي مراعاتها في الشعر في نظر التداوليين،

وذلك في كل ما له علاقة بالخطاب الشعري، كاسم الممدوح أو اسم أحد من أهله، وعمره، وخلقه، وعمله، والوضع الذي يكون عليه المخاطب جسمانياً كان أو نفسياً أو عقلياً"(بيرم، ٢٠١٤، ٧٦).

كما نرى الشاعر قد التزم في مواضع من شعره بقاعدة السخاء، بالتوجه إلى المخاطَب بعبارات تشي بنكران الذات، ليجلب التقرب منه. ويتجلى ذلك في قصيدة "اعترافات كذاب"، إذ يقول الشاعر (مطر، ٢٠٠١، ٥٩):

بملءِ رغبتي أنا
ودونَما إرهاب
أعترفُ الآنَ لكم بأنّني كذّاب!
وقفتُ طول الأشهرِ المنصرمهْ
أخدعكم بالجمل المُنمنَمهْ
وأدّعي أنّي على صوابْ

سار الشاعر هنا على قاعدة السخاء، فقلّل من شأنه، من خلال وسم نفسه بسمات لا تنمّ عن الإيجاب(إنني كذّاب، أخدعكم)، ومن ثم قلّل ربح الذات، وهو ما يؤدي حتماً إلى الإكثار من خسارة الذات، غير أنّ هذا الأمر لا يعدّ تنقيصاً أو حطّاً من قيمة المتكلم(الشاعر)، ولكنّه أسلوب يُنتهَج لربح الآخر والتقرب منه، حتى يكون أدعى للإقناع.

وفي مواضع أخرى لجأ الشاعر إلى قاعدة الاستحسان، التي توظّف عادة لغرض التأدب الأقصى. ومنها في قصيدة "طلب انتماء للعصر الحجري"، حين أكثر من مدح أهل الضفة، بقوله(مطر، ٢٠٠١، ٢٠٧):

أهل الضفّةِ
أنتمْ روحُ الله
وأنتمْ موجزُ كلِّ المخلوقاتْ

فاستعمل الشاعر هذه الأوصاف(أنتمْ روحُ الله، أنتمْ موجزُ كلِّ المخلوقاتْ...)، التي حملت في طياتها كثيراً من المدح؛ وذلك لجلب انتباههم إلى ما سيأتي من إخبار بعد هذا الإطراء؛ بغية الحفاظ على ديمومة التواصل والتفاعل.أمّا قاعدة التواضع، التي تقتضي التقليل من مدح الذات، والإكثار من ذمها، فيبدو أنّ الشاعر أحمد مطر لم يغفلها في شعره، بل أدرجها في قصيدة "المنحرف"، حين يقول (مطر، ٢٠٠١، ٢١٦-٢١٧):

أنا لا أزعُمُ أني بطلٌ

بل إنّ خوفي طافحٌ حتى الحوافْ.

فالشاعر حين يوسم نفسه بالـ(الخوّاف)تواضعاً، وعن قصد، يبتعد عن إطراء الذات، ويحث مخاطبه إلى الاقتداء به في زمن غير ضامن للحياة الكريمة. فالمعنى المستلزم الذي هدف إليه الشاعر، هو تجنّب تحدي الظالمين بأساليب ساذجة، وإنّما التأني في مواجهتم بالوسائل الكفيلة بالنجاح.

وبخصوص قاعدة الاتفاق، فيمكن أن نضرب لها مثالاً من شعر مطر في قصيدة "هذه الأرض لنا"، حين يقول(مطر، ٢٠٠١، ٧٥):

يا شرفاءُ

هذه الأرضُ لنا

الزرعُ فوقها لنا

والنفطُ تحتَها لنا

وكلُّ ما فيها بماضيها وآتيها لنا

فجنوح الشاعر في هذا المقطع إلى إخبار المخاطَبين بأمر هم على دراية به(هذه الأرضُ لنا، الزرعُ فوقها لنا، النفط تحتها لنا...)، إنّما يرمي من وراء ذلك إلى قصد التأكيد وإقناعهم بحق هذا التملك، ومن ثم توسيع دائرة التعاون؛ تحقيقاً لقاعدة الاتفاق. كما يتجسد التعاطف في هذا النص من خلال شحذ همم أبناء شعبه، وحثهم ونفسه أولاً، على عدم الخشية من السلطة؛ لأنّ ما يُسنِد الحاكم ليس سوى النفط، الذي لا ضمانة له إلى ما لا نهاية.

النتائج

إن هذه المعالجة التداولية لمبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه، في شعر أحمد مطر، توصلت إلى نتائج، تتلخص في:

– إنّ الخطاب الأدبي قابل لتطبيق آليات الدرس التداولي ومفاهيمه عليه، ويمكن إسقاط الأبعاد التداولية وقواعد المحادثة على الخطاب الشعري، ولاسيما الشعر المعاصر؛ لأنّ غايته تحقيق التواصل والتأثير والإقناع واستمالة القلوب.

– أثبتت هذه الدراسة قدرة الشاعر أحمد مطر على الاستعانة في شعره، بمبدأ التأدب والمبادئ المنبثقة عنه، وشحن بعض قصائده بها. وغايته في ذلك تشكيل الرؤى التفاعلية والتواصلية، وديمومتهما بينه وبين متلقيه.

– لجأ الشاعر إلى هذه المبادئ، كصورة مشكلة تؤدي وظائفها التداولية، واستعملها في بعض قصائده تأدباً واحتراماً لمن يكنّ له الاحترام، وأحياناً أخرى تهكماً وسخرية من الوضع القائم، أو أفعال بعض الحكام والمتسلطين.

– حرص الشاعر على الالتزام بالتهذيب وعدم فرض نفسه على مخاطَبيه في كثير من المواضع تأدباً، وبذلك صان وجه مخاطَبه، وترك له حرية اتخاذ القرار، متجنباً كل ما من شأنه أن يحدث هوة، أو يكسر الحواجز بينهما. وفي المقابل، خرق في بعض المقامات مبادئ التأدب، حتى وصل به الأمر إلى الشتم والسب؛ وذلك نتاجاً لمقاصد تداولية، فرضها خطابه.

ثبت المصادر والمراجع

– أجعيط، نورالدين(٢٠١٢). تداوليات الخطاب السياسي. ط١. إربد: عالم الكتب الحديث.

– أدراوي، العياشي(٢٠١١). الاستلزام الحواري في التداول اللساني–من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها. ط١. المغرب: دار الأمان.

– أوريكيوني، كاترين كيربرات(٢٠٠٨). المُضمَر. ترجمة: ريتا خاطر. ط١. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

– أولمان، ستيفن(١٩٧٥). دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال محمد بشير. د ط. مصر: مكتبة الشباب.

– بوجادي، خليفة(مايو ٢٠١١). نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية–مشروع لربط البلاغة بالاتصال. السعودية: بحث مقدّم في الجلسة الخامسة لندوة الدراسات البلاغية–الواقع والمأمول، كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

– بوهدّة، فتحي أولاد. الجامعي، عبدالستار(٢٠١٩). الخطاب الأدبي والمتلقي–قراءة تفاعلية تداولية. ط١. إربد: عالم الكتب الحديث.

– بيرم، عبدالله(٢٠١٤). التداولية والشعر–قراءة في شعر المديح في العصر العباسي. ط١. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

– تغزاوي، يوسف(٢٠١٤). الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي. ط١. إربد: عالم الكتب الحديث.

– توماس، جيني(٢٠١٠). المعنى في لغة الحوار–مدخل إلى البراجماتية(التداولية). ترجمة: نازك إبراهيم عبدالفتاح. ط١. السعودية: دار الزهراء.

–الحاج، ذهبية حمو(ماي ٢٠٠٧). قوانين الخطاب في التواصل الخطابي. الجزائر: مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، العدد ٢.

– حمراوي، محمد(ديسمبر ٢٠١٥). نظرية التأدب في اللسانيات. الجزائر: مجلة أليف، العدد ٤.

– ختام، جواد(٢٠١٦). التداولية–أصولها واتجاهاتها. ط١. الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

– الرقبي رضوان(٢٠١٨). من البلاغة إلى التداولية–دراسة تحليلية في البنية والتصور. ط١. إربد: عالم الكتب الحديث.

– ريبول، آن. موشلر، جاك(٢٠٠٣). التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرون. ط١. لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

– الشهري، عبدالهادي بن ظافر(٢٠٠٤). إستراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية. ط١. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

– العبد، محمد(٢٠٠٥). تعديل القوة الإنجازية–دراسة في التحليل التداولي للخطاب. مصر: مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥.

– عبدالرحمن، طه(١٩٩٨). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط١. المغرب: المركز الثقافي العربي.

– العزاوي، أبوبكر(٢٠١٦). من المنطق إلى الحجاج. ط١. إربد: عالم الكتب الحديث.

– عيدة، ناغش(٢٠١٢). أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين–دراسة نحوية بلاغية تداولية. الجزائر: رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الأدب واللغات.

– غنيم، كمال أحمد(١٩٩٨). عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط١. مصر: مكتبة مدبولي.

– الفتلي، حميد عبدالحمزة(٢٠١٧). مبدأ التأدب في عهد الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الأشر(رضي الله عنه)–قراءة تداولية. العراق: مجلة المبين، مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، المجلد ١،العدد ٤.

– كادة، ليلى(٢٠١٤). الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث–طه عبدالرحمن أنموذجاً. الجزائر: مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، العدد ٢١.

– ليتش، جيوفري(٢٠١٣). مبادئ التداولية. ترجمة: عبدالقادر قنيني. د ط. المغرب: أفريقيا الشرق.

– مزيد، بهاءالدين محمد(٢٠١٠). تبسيط التداولية–من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي. ط١. مصر: شمس للنشر والتوزيع.

– مطر، أحمد(٢٠٠١). الأعمال الشعرية الكاملة. طبعة لندن.

– مطر، أحمد(٢٠١٣) الأعمال الشعرية. ط٢. الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

– هنوش، عبدالجليل(٢٠٠١).ابن طباطبا العلوي والتصور التداولي للشعر. الكويت: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة ١٦٨، الحولية ٢١.

References

• Abdul Rahman, Taha. (1998). Tongue and balance or mental reproduction (1st edition). Morocco: Arab Cultural Center.

• Adrawi, Al-Ayashi (2011). The conversational implicature in linguistic pragmatics: From awareness of the specificities of the phenomenon to developing laws that control it (1st edition). Morocco: Dar Al-Aman.

• Ajit, Noureddine. (2012). The pragmatics of political discourse (1st edition). Irbid: Modern Books' World.

• Al-Abid, Muhammed. (2005). Achievement power adjustment: A Study in the pragmatic analysis of speech. Cairo: Fusol periodical, Egyptian General Book Authority, No. 65.

• Al-Azzawi, Abo Bakir. (2016). From logic to argumentation. Irbid: Modern Books' World.

- Al-Fatli, Hameed Abdul Hamza. (2017). The principle of politeness from the era ofImam Ali to Malik Al-Ashar: A pragmatic reading. Baghdad: Al-Mubeen periodical, Rhetoric Approach Science Foundation, General secretariat of the holy Husseinian threshold, Vol. 1, No. 4.
- Al-Haj, thahabia hamo. (2007). Discourse laws in discursive communication. Al Khitab periodical, Discourse analysis laboratory, Mawlood Maamari University, No. 2.
- Al-Raqbi, Radhwan. (2018). From rhetoric to pragmatics: An analytical study of structure and visualization (1st edition). Irbid: Modern Books' World.
- Al-Shihri, Abdul Hadi Bin Thafir. (2004). Discourse strategies: A linguistic, pragmatics approach (1st edition). Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al Muttahida.
- Bairam, Abdullah. (2014). Pragmatics and poetry: Reading in the poetry of praise in the Abbasid era (1st edition). Jordan: Majdalawi for publishing anddistribution.
- Bohidda, Fathi Awlad. Al-Jamei, Abdul Satar. (2019). Literary speech and therecipient- Interactive and pragmatics reading. 1st edition. Irbid: Modern Books' World.
- Bojadi, Khalifa(May 2011). Towards a pragmatics perspective to study Arabic rhetoric- A project to link rhetoric to communication. Saudi Arabia: Research presented at the fifth session of the symposium on rhetorical studies- Reality and hope. College of arabic language, Imam Muhammad Bin Saud IslamicUniversity.
- Brown, P. & Levinson, S. (1987). Politeness: Some universals in language usage. Cambridge: Cambridge University Press.
- Eida, naghish. (2012). The interrogative style in the hadiths of the Prophet in Riyadh Al-Saleheen: A syntactic, rhetorical and pragmatics study. MA Thesis, Mawlood Maamari University, College of Arts and Languages.
- Ghunaim, Kamal. (1998). Elements of artistic creativity in the poetry of Ahmed Matar (1st edition). Cairo: Madbouly Library.
- Grice, P. (1975). Logic and conversation. In Syntax and semantics,Vol.3, Speech Acts,edited by Peter Cole and Jerry L.Morgan. New York: Academic Press.
- Hamrawi, Muhammad. (2015). The theory of politeness in linguistics. Algeria: Alephperiodical. No. 4.
- Hanosh, Abdul Jalil. (2001). Ibn Tabatba Al-Alawi and the pragmatics perception of poetry. Kuwait: Annals of arts and social sciences, Kuwait University, Tractate 168, Annal 21.
- Kada, Laila. (2014). The implicature conversational in the modern linguistic lesson Taha Abdul Rahman as a model. Algeria: Linguistic Practices Laboratory, Mawlood Maamari University, No.21.
- Khitam, Jawad. (2016). Pragmatics: Its origins and trends (1st edition). Jordan: Dar Konoz for publishing and distribution.
- Lakoff, Robin Tolmach. (1973). The logic of politeness: or, Minding your P's and Q's. In papers from the 9th regional meeting. USA: Chicago Linguistic Society.

- Leech, G. (1983). Principles of pragmatics. London : Longman Group Limited.
- Matar, Ahmed. (2001). Complete poetic works. London edition.
- Matar, Ahmed. (2013). Poems (2nd edition). Jordan: Dar Konoz for publishing and distribution.
- Mazid, Bahauddin Muhammad. (2010). Streamline pragmatics: From acts of language to eloquence of political discourse (1st edition). Cairo: Shams for publication and distribution.
- Orecchione, Cathrine Kerbrat. (2008). The implicit (1st edition). Translated by Rita Khater. Beirut: Arab Organization for Translation.
- Reboul, Anne. Moeschler, Jacques. (2003). Pragmatics today: A new science in communication (1st edition). Translated by Saif Al-Deen Daghfos and others. Lebanon: Dar Al-Tale'ah for printing and publishing.
- Taghzawi, Youssef. (2014). The pragmatic functions and strategies of linguistic communication in the theory of functional grammar (1st edition). Irbid: Modern Books' World.
- Thomas, Jenny. (2010). Meaning in interaction: An introduction to pragmatics (1st edition). Translated by Nazik Ibrahim Abdul Fattah. Saudi Arabia: Dar AlZahra.
- Ullmann, Stephen. (1975). Words and their use. Translated by Kamal Muhammad Bishr. Cairo: Al-Shabab Library.

The Politeness Principle in the Poetry of Ahmed Matar: A Pragmatics Study

Abstract

This study deals with one of the principles of speech or conversation, which together with other topics pertainging to it, e.g. face theory and politeness theory, represent key topic in prgamtics. These principes are applied to selected poem of the Iraqi poet Ahmad Matar. The study takes an analytical and descriptive approach in analyzing the data of from a pragmatic perspective, so as to identdifiy the peot's intented meaning and the ligusitics devices he utilized to convey that meaning. The poet used some devices that are similar to the ones used in is regular language and in daily dialogues. He aims to maximize the impact on the recipient and sustain the process of communicating and interacting with his texts. His style is meant to convince others of his political and social ideas and visions.

Keywords: Pragmatics, Politeness Principle, Extreme Politeness, Face, Communication, The Poetry of Matar.